

أضواء البيان

. @ 25 @ .

وقد أطال السيوطي في المزهرة الكلام في هذه المسألة ، نقلاً عن ابن فارس الشديقي . .
وعن العسكري عن الأوائل في ذلك أقوال ، ففيل إسماعيل ، وقيل : مرار بن مرة ، وهما من
أهل الأنبار ، وفي ذلك يقول الشاعر : وعن العسكري عن الأوائل في ذلك أقوال ، ففيل
إسماعيل ، وقيل : مرار بن مرة ، وهما من أهل الأنبار ، وفي ذلك يقول الشاعر : % (كتبت
أبا جاد وخطى مرامر % وسورت سربالي ولست بـكاتب) % .
وقيل : أول من وضعه أبجد ، وهوز وحطي ، وكلمن ، وصعفس ، وقرشت ، وكانوا ملوكاً فسمي
الهاء بأسمائهم . .

وذكر عن الحافظ أبي طاهر السلفي بسنده عن الشعبي قال : أول من كتب بالعربية حرب بن
أمية بن عبد شمس ، تعلّم من أهل الحيرة ، وتعلم أهل الحيرة من أهل الأنبار . .
وقال أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف : حدثنا عبد الله بن محمد الزهري حدثنا
سفيان عن مجالد عن الشعبي قال : سألت المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا :
تعلمنا من أهل الحيرة ، وسألنا أهل الحيرة : من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا : من أهل
الأنبار ، ثم قال ابن فارس : والذي نقوله إن : الخط توقيفي ، وذلك لظاهر قوله تعالى : {
الَّذِينَ عَلَّمُوا بِآلْقَامِ * عَلَّمُوا الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } . .
وقوله : { ن وَالْقَلَامِ وَمَا يَسْطُرُونَ } . .
وإذا كان هذا فليس ببعيد ، أن يوقف آدم أو غيره من الأنبياء عليهم السلام على
الكتابة ، فأما أن يكون شيئاً مخترعاً اخترعه من تلقاء نفسه ، فهذا شيء لا نعلم صحته
إلا من خبر صحيح . .

قال السيوطي : قلت يؤيد ما قاله من التوقيف ، ما أخرجه ابن شقة من طريق سعيد بن جبير
عن ابن عباس قال : (أول كتاب أنزله الله من السماء أبا جاد) . .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أول من
خط بالقلم إدريس عليه السلام) . . .

وقد أطال النقول في ذلك مما يرجع إلى الأول ، وليس فيه نقل صحيح يقطع به . .
وقد أوردنا هذه النبذة بخصوص كلام ابن فارس ، من أن تعليم الكتابة أمر توقيفي ، وما
استدل به السيوطي من أول كتاب أنزله الله من السماء ، فإن في القرآن ما يشهد لإمكان ذلك ،
وهو أن الله أنزل الصحف لموسى مكتوبة . .

وفي الحديث (إن الله كتب الألواح لموسى بيده ، وغرس جنة عدن بيده) . .
وإذا كان موسى تلقى ألواحاً مكتوبة ، فلا بد أن تكون الكتابة معلومة له قبل إنزالها ،
وإلاّ لما عرفها . .

أما المشهور في الأحرف التي نكتب بها الآن ، فكما قال السيوطي في المزهر ، ونقله عنه
صاحب المطالع المصرية ما نصه : .

المشهور عند أهل العلم ما رواه ابن الكلبي عن عوانة ، قال : أول من كتب بخطنا هذا .
وهو الجزم مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدره ، وعامر بن حدره . كما في القاموس . وهم من
عرب طيء تعلموه من كتاب الوحي لسيدنا هود عليه السلام ، ثم علّموه أهل الأنبار ، ومنهم
انتشرت الكتابة في العراق والحيرة وغيرها ، فتعلمها بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد
الملك صاحب دومة الجندل ، وكانت له صحبة بحرب بن أمية فتعلم حرب منه ، ثم سافر معه بشر
إلى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان . فتعلم منه جماعة من أهل مكة . .
فبهذا كثر من يكتب بمكة من قريش قبيل الإسلام . .

ولذا قال رجل كندي من أهل دومة الجندل ، يمن على قريش بذلك : ولذا قال رجل كندي من
أهل دومة الجندل ، يمن على قريش بذلك : % (لا تجحدوا نعماء بشر عليكم % فقد كان ميمون
النقيبة أزهر) % (أتاكم بخط الجزم حتى حفظتموا % من المال ما قد كان شتى مبعثرا)
% (وأتقنتموا ما كان بالمال مهملًا % وطأمنتوا ما كان منه مبقرًا) % (فأجريت
الأقلام عوداً وبدأة % وضاهيتم كتاب كسرى وقيصرا) % (وأغنيتم عن مسند إلى حميرا %
وما زبرت في الصحف أقلام حميرا) % .

قال : وكذلك ذكر النووي في شرح مسلم نقل عن الفراء ، أنه قال : إنما كتبوا الربا في
المصحف بالواو ، لأن أهل الحجاز تعلموا الخط من أهل الحيرة ، ولغتهم الربوا ، فعلموهم
صورة الخط على لغتهم . ا هـ .